لجنة التأليف والترجمة والنشر

شرح ديوان الحماسة

لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

٠٠٠ — ٤٢١

نشره

أحمد أمين   عبد السلام هارون

القسم الأول

—

الطبعة الثانيـة

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

تصدير

بسم الله ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

نال ديوان الحماسة من الشهرة فى العالم العربى ما يستحقه ، ففى الحق أن اختيار أبى تمام كان اختياراً موفقاً ، لأن جامعَه شاعر ممتاز مكَّنه شعره من أن يختار أحسنَ ما تقع عليه عينه ، وما تسمعه أذنه . وهو إلى جانب ذلك شاعر كبير من شعراء المعانى ، فكان هذا أيضاً محور اختياره ، ولذلك فقد يقرأ القصيدة الطويلة كلها ، فيعجبه منها معنى أو معنيان ، فيختارهما من بين القصيدة الطويلة . وإذا لم يكن بينهما رابطٌ ربط بينهما ، وإذا كانت هناك كلمة نابية غيَّرها بخيرٍ منها ، فكان مختاراً ومنقِّحاً فى وقت واحد ، وكان له أيضاً فضل تبويب الشعر ، فإنا لا نرىَ أحداً قبله قسّم الشعر هذا التقسيم ؛ فأولا كانت حركة الجمع ، وثانياً كانت حركة الاختيار حيثما اتفق فى النظم ، كالمفضليات والأصمعيات ، وفى النثر كأمالى القالى ، ثم جاءت حركة الاختيار المبوب ، ولعل فاتحتَها كان أبا تمام .

ويظهر أن العادة فشت أولا فى أن يسمى الكل باسم أى جزء حتى فى تسمية القرآن . فسميت سورة البقرة لآيةٍ فيها فى البقرة ، وسورة الأنعام كذلك ، وسورة النمل كذلك ، ثم فشت عادة تسمية الشىء بأوله ، فسمِّى العين للخليل لأنَّ أول أبوابه باب العين ، وسمى أبو تمام ديوانه بالحماسة كذلك .

وقد جرى المؤلفون على هذا النمط فى عصور التاريخ إلى ظهور مختارات البارودى ، وهو تقسيم ليس منطقياً كالذى اتبعه بعض الإفرنج فى تقسيم الشعر

إلى شعر طبيعة ، وشعر إنسان ، وشعر إلهى مثلا . وإلا فأىّ منطق فى باب الأدب ، وباب الأضياف ، وباب النسيب .

قرأت أول عهدى بالأدب شرح ديوان الحماسة هذا للتبريزى فلم يعجبنى ؛ لأن التبريزى نحوى لغوى أكثر منه أديباً وناقداً ، فكنت أقرأ الشرح أحياناً وأنا متعطِّش جدا لأفهم معنى بيت فلا أجده ، لأنَّ الشارح انصرفَ إلى شىء آخر . ثم عَثَرْت على نتف للمرزوقى فرأيتُها تسدُّ هذا النقص ، ثم قرأت شرحه على مشكلات أبى تمام ، فرأيته إماماً عظيما لا يتهرَّب من المشاكل ، ولكن يتصدَّى لها ، فوددت أن لو عُثِر على شرحه لديوان الحماسة ونشر ، لأنه يكمل نقص التبريزى ، فلما عثر عليه وجدته فوق ما أتوقّع ، ووجدتُ له مقدّمة فى النقد لم أر مثلَها فى اللغة العربية ، فكم كنا نقرأ فى كتب الأقدمين عن « عمود الشعر » ونحفظ الكلمة ولا نفهم معناها حتى شرحها المرزوقى شرحا دقيقاً وافياً ، وكم له من حسنات أخرى غير هذه . فإخراجه للقراء يسد ثلمة ، ويكمل نقصاً .

والحق أنَّ أبا تمام كان بارعا فى اختياره ، حتى كان شادى الأدب يحفظه أول ما يحفظ ، حتى متعلمو النثر قد نصحهم علماء الأدب أن يقبلوه نثراً مع محافظتهم على المعانى ، ولقد ألف بعضهم نثراً كاملا للديوان — وهو أبو سعيد على بن محمد الكاتب المتوفى سنة ٤١٤ — وأوصوهم أن ينسوه إذا نثروه لتبقى معانيه فى اللاوعى يستمد منها صاحبُها عند الضرورة . وكم أُلِّفت مختارات من عهده إلى اليوم ، ولكن لم يَحْظَ منها ما حظى ديوان الحماسة .

وكتب الأدب والنحو والصرف مليئة بتعبيرها : « قال فى الحماسة » . ويكفى هذا إشارة لأبى تمام وكتابه .

وكما برع فيه أبو تمام ، برع شارحه المرزوقي ، فوفّى الكلام حقه لغة ونحواً وصرفاً ومعنى ونقداً ، فالكتاب فى مَتْنِهِ وشرحه رغبة الآمل ، وبغية المتأدب .

وقد اشتركت فى إخراجه مع الأستاذ المحقق « عبد السلام محمد هارون » . والحق يقال أن كان له حظ فى نشره أكبرُ من حظى ، فله الشكر على ما بذل من جهد فى إخراج الكتاب ؛ وفى نسبته ما ورد فى الشرح إلى قائله ، والتعريف بأعلام الشعراء وغيرهم ؛ وتصحيح ما حصل فيه من خطأ الناسخ ، ووضع فهارسه الفنية ، فالله يجزيه عنا وعن الأدب خير الجزاء ؟

أحمد أمين

تقـــديم

كتب الاختيار :

لعل أقدم ما وصل إلينا من كتب الاختيار هو « القصائد المفضليات » التى صنعها المفضَّل الضبى ، وهو اختيار لقصائد طويلة من عيون الشعر ، لم يرتبها المفضَّل على أبواب خاصة ، ولا قصد أن يجمع الشعر الذى يتناول أغراضاً معيَّنة ، وإنما هو اختيار الذوق الأدبى والجزالة اللغوية ، فيما تراءى له فى ذلك العصر .

وقد ظهر بعده من كتب الاختيار التى على هذا النمط « الأصمعيات » لأبى سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى ، و « جمهرة أشعار العرب » لأبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى ، و « مختارات شعراء العرب » لأبى السعادات ابن الشجرى .

وهناك ضرب آخر من كتب الاختيار بدأه أبو تمام بديوان الحماسة وجرى فيه على تبويب معانى الاختيار . وحذا حذوه البحترى مع بعض الريبة فى نسبة الحماسة إليه[1] ، وكذا الخالديان ، وابن الشجرى ، وأبو هلال العسكرى ،

---

(١) من اطلع على دقة تقسيم الأبواب فى الحماسة المنسوبة إلى البحترى وكثرة ضروبها وأنواعها التى بلغت ١٧٤ بابا راعه أن يكون ذلك من صنيع مثل البحترى . وكما صنع أبو تمام حماسة لآل سلمة ، صنع البحترى حماسة للفتح بن خاقان . ونجد فى صدر نسخة ليدن من حماسة البحترى هذا النص : « اختاره من أشعار العرب للفتح بن خاقان معارضة لكتاب الحماسة الذى ألفه أبو تمام حبيب بن أوس الطائى رحمهما الله وعفا عنهما . رواية أبى العباس أحمد بن محمد المعروف بابن أبى خالد الأحول عن أبيه عن البحترى . على أن البغدادى يشك فى نسبة الحماسة إلى البحترى ، ففى الخزانة (٣ : ٥٩١) بعد أن نقل عن العينى قوله : « ذكره البحترى فى حماسته » : « ولم نسمع أن للبحترى حماسة » .

والأعلم الشنتمرى ، وأبو الحجاج يوسف بن محمد البياسى الأندلسى ، وأبو الحسن على بن أبى الفرج البصرى ، فى دواوينهم المعروفة بالحماسات .

اسم ديوان الحماسة :

ليس يُدْرَى أمر هذه التسمية ، أهى من صنيع أبى تمام نفسه ، أم هى عرف جرى بين الأدباء ، وشهرة سارت على وجه الدهر حتى تأدّت إلينا جيلا بعد جيل . فليس هذا الديوان ديوان حماسة فحسب ، ولكنه يجمع إلى الحماسة المراثىَ ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والأضياف ، والمديح ، والسير والنعاس ، والملح ، ومذمّة النساء .

والظاهر أن أبا تمام سماه بأول أبوابه وأعظمها .

ويقول التبريزى فى مقدمة شرحه للحماسة إن أبا تمام قد صنّف خمسة كتب فى الشعر ، منها كتاب الحماسة ، وكتاب الوحشيات .

وقد عثرت على نص فى المؤتلف ١٨١ فيه : « ومنهم المثلم بن عمرو التنوخى أنشد له الطائى فى اختياره الذى سماه الحماسة » . ومن هذا النص يُفهم أن صاحب التسمية هو أبو تمام نفسه .

والذى يقرن بين الحماسة والوحشيات يجد بينهما شبهاً كبيراً فى التبويب ، فهى تشتمل على الحماسة ، والمراثى ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والسماحة ، والأضياف ، والصفات ، والمشيب ، والملح ، ومذمّة النساء .

وكما أُطلِق على الاختيار الأول اسم الحماسة الكبرى ، أُطلِق على الاختيار الثانى اسم الحماسة الصغرى وجاء فى مقدمة ناسخه : « وهذا الكتاب اختاره أبو تمام حبيب بن أوس الطائى رحمه الله بعد اختياره كتاب الحماسة الكبرى ، ويروِه ، ولكن وجد بعده مكتوباً فى مسودّة بخطه مترجما بكتاب الوحشيات»

ولقد رأيتَ أن هذه التسمية صارت شهرة لكتب الاختيار التى بوّبت لمعانى الشعر ، وأن هذه الشهرة قديمة جداً ، ولا سيما أنها قد أُطلقت على حماسة البحترى ، وهو قريب العهد والمعاصرة لأبى تمام .

وقد عرف هذه التسمية ابن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ إذ يقول فى مقدمة (التنبيه على شرح مشكلات الحماسة) : « وقد أجبتك — أيدك الله — إلى ملتمسك من عمل ما فى الحماسة من إعراب ، وما يلحق به من اشتقاق أو تصريف » .

تاريخ حماسة أبى تمام :

يقولون فى أمثالهم : « رُبَّ ضارةٍ نافعة » . وهكذا كانت الحال مع أبى تمام فى صنعه لديوان الحماسة . وقد اقتصّ لنا التبريزى فى مقدمة شرح الحماسة أن أبا تمام كان قدَ قصد عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ، فمدحه وأثابه ، وعاد من خراسان يريد العراق . فلما دخل العراق اغتنمه أبو الوفاء بن سلمة فأنزله وأكرمه ، فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق ومنع السابلة ، فغم أبا تمام ذلك وأحرج صدره ، على حين سر ذلك مضيفه أبا الوفاء ، فأقبل على أبى تمام وقال له : وطِّنْ نفسك على هذا المقام فإن هذا الثلج لا ينحسر إلا بعد زمان . وأحضره خزانة كُتبه فطالعها واشتغل بها ، وصنّف خمسة كتب فى الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات ، وهى قصائد طوال[1] .

ويقول التبريزى : « إن كتاب الحماسة بقى فى خزائن آل سلمة يضنون به ولا يكادون يبرزونه لأحد حتى تغيرت أحوالهم . وورد همذان رجل من أهل دينور يعرف بأبى العواذل ، فظفر به وحمله إلى أصبهان ، فأقبل أدباؤها عليه ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة فى معناه ، فشهر فيهم ثم فيمن يليهم » .

(١) هكذا ذكر التبريزى . وقد رجعت إلى الوحشيات مصورة دار الكتب المصرية برقم ٢٢٩٧ أدب فوجدتها مقطوعات على غرار الحماسة ، وإن كانت تمتاز ببعض الطول .

وقد نفهم من نص التبريزى : « ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة فى معناه » أن أبا تمام قد سبق فى هذا الضرب من الاختيار ، وأرى أنه إنما يعنى مطلق كتب الاختيار كالمفضليات ، والأصمعيات ، والمعلقات .

عمل أبى تمام فى الحماسة :

صب أبو تمام ذوقه الفنى على ما وصل إليه من أشعار العرب ، فاختار لكل باب من أبواب الحماسة ما ارتضاه ذوقه ، وعنى عناية خاصة بشعراء طيئ فكان قسطهم فى اختياره قسطا كبيرا . وقد لحظ العلماء أن أبا تمام يعمد أحيانا إلى تغيير نصوص الشعر ، ليستقيم له أن يربط بين الأبيات التى تفككت ، أو ليستر عوار نقيصة يَشِين وجه الحسناء من مقطوعاته . وفى ذلك يقول المرزوقى(1) :

« وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال ، ولا من الشعر إلى المتردد فى الأفواه ، المجيب لكلّ داع ، بل اعتسف فى دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرمهم ، وإسلاميهم ومولَّدهم ، واختطف منها الأرواح دون الأشباح ، واخترف الأثمار دون الأكمام ، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه ، لان ضروب الاختيار لم تَخْفَ عليه ، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستتر عنه ؛ حتى إنك تراه ينتهى إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه ، فيجبر نقيصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها فى نقده ، وهذا يَبِين لمن رجع إلى دواوينهم فقابل ما فى اختياره بها » .

وهذه التهمة : تهمة أبى تمام بتغيير النصوص التى اختارها ، والتى يدعمها المرزوقى فى أثناء شرحه بما يظهرها ويقويها كان جديرا بها أن تنزل بقيمة الحماسة باعتبارها نصوصا يستشهد بها فى علوم اللغة والعربية ، ولكننا نجد العلماء مجمعين على تزكية أبى تمام فى الحماسة ، وعلى تزكية الحماسة ونصوصها ، بل يعدون

---

(1) فى المقدمة ١٣ – ١٤ .

صنيعه فى الحماسة داعية إلى الوثوق بشعر أبى تمام نفسه والاستشهاد بشعره . وفى ذلك يقول الزمخشرى[1] : « وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل على هذا بيت الحماسة ، فيقنَعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه » .

زيادات الحماسة :

وجدت نصا فى الخزانة (٣ : ٣٥٢) عن ابن المستوفى ، قال وهو يتكلم فى نسبة بعض الأبيات : « ووجدتها أيضا فى نسخة قديمة ذكر كاتبها أنها زيادات الحماسة ، كتبها محمد بن أحمد بن الحسن فى ربيع الآخر سنة ٣٩٨ ، ونسبها — أى الأبيات — لمرداس بن عمرو . قال : وتروى للأخطل » . ولست أدرى أمر هذه الزيادات ، هل هى من صنيع أبى تمام ، أم من صنيع غيره .

شراح الحماسة :

هذه الشهرة الطائرة لصانع الحماسة أبى تمام ، وذلك الاختيار الموفق الذى عَمَد فيه أبو تمام إلى الأشعار التى يحتج بها فى اللغات والعربية والمعانى ؛ ذلك الاختيار الذى انتزع إعجاب القدماء حتى يقول المرزوقى : « وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق فى اختيار المقطعات أنقى مما جمعه ، ولا فى اختيار المقصدات أوفى مما دوّنه المفضل ونقده » ، ويقول التبريزى : « قالوا : إن أبا تمام فى اختياره الحماسة أشعر منه فى شعره » .

هذه الدوافع جميعا دعت الأُدباء من قديم الزمان أن يُعنَوا عناية صادقة بدراسة هذه المجموعة الشعرية ، وأن يتصدى لها جمهرة منهم بالتفسير والتوضيح والإعراب .

وقد حفظ لنا صاحب كشف الظنون أسماء عشرين ممن شرحوا الحماسة ،

(١) انظر الخزانة (١ : ٤ طبع بولاق) .

وقد رتبتهم على وفياتهم ، وأذكر فى هذه للناسبة أن وفاة أبى تمام كانت فى سنة ٢٣١ .

١ — أبو بكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٥ . وهو أول جامع لشعر أبى تمام .

٢ — وأبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ . وقد سمى شرحه « التنبيه على شرح مشكلات الحماسة » . وقد استحضر معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة جيدة منه ، من مكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم ٢٣٦٩ مكتوبة فى سنة ٥٩٤ . وقد استعنت بهذه النسخة واقتبست منها مادعت الضرورة إليه فى التحقيق . وفى اللوح ٢٢ ما يفيد أنه ألفه بعد سر الصناعة . ومن هذا الكتاب نسخة جيدة بدار الكتب المصرية برقم ٤٤ أدب كتبت سنة ٦٨٢ .

٣ — وأبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى صاحب الموازنة ، المتوفى سنة ٣٧١ .

٤ — وأبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى ، المتوفى سنة ٣٩٥ . وشرحه هو أحد الشروح التى اعتمد عليها التبريزى فى تأليفه . ويمتاز هذا الشرح بعنايته بتصحيح نسبة الأبيات إلى الشعراء ، وتوضيح بعض ما غمض فى ذلك ، مع العناية ببيان اشتقاق أسمائهم .

٥ — وأبو المظفر محمد بن آدم الهروى المتوفى سنة ٤١٤ .

٦ — وأبو على أحمد بن محمد المرزوقى المتوفى سنة ٤٢١ ، وهو صاحب هذا الشرح الذى ننشره .

٧ — وأبو عبد الله الخطيب الإسكافى ، صاحب مبادئ اللغة ، المتوفى سنة ٤٢١ .

٨ — وأبو الحسن على بن سيده ، اللغوى المشهور ، المتوفى سنة ٤٥٨ ، وهو شرح كبير فى ست مجلدات ، سماه « الأنيق » .

٩ — وأبو القاسم زيد بن على الفسوى المتوفى سنة ٤٦٧ .

١٠ — وأبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالى المتوفى سنة ٤٧٥ .

١١ — وعبد الله بن أحمد السامانى المتوفى سنة ٤٧٥ .

١٢ — والأعلم أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمرى المتوفى سنة ٤٧٦ . وهو كبير فى ست مجلدات .

١٣ — وأبو بكر بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٤٧٦ .

١٤ — وعبد الله بن إبراهيم بن حكيم الخَيَرىّ المتوفى سنة ٤٧٦ لا سنة ٥٨٤ كما ذكر صاحب كشف الظنون .

١٥ — وأبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ . وقد فسر الحماسة ثلاث مرات ، كما ذكر صاحب كشف الظنون ، قال : « شرح أولا شرحا صغيرا فأورد كل قطعة من الشعر ثم شرحها ، وشرح ثانيا بيتاً بيتاً ، ثم شرح شرحا طويلا مستوفيا . وأول المتوسط : « أما بعد حمدا لله الذى لا يبلغ صفاته الواصفون » .

ومما هو جدير بالذكر أن شرح التبريزى المتداول — بهذا الاعتبار — هو الشرح المتوسط ، أما الصغير فمنه قطعة بدار الكتب برقم ١١٩٥ تشمل باب الحماسة . وأما الكبير فما لم نهتد إلى معرفته .

وقد طبع شرح التبريزى ثلاث مرات إحداها فى مدينة « بن » سنة ١٨٢٨ بتحقيق المستشرق « غِيُورغ وِلْهَلْم فَرَيْتَغ » Dr. Georg. Guil. Freytag المعلم فى المدرسة الكلية الفريدرخُوَلْهَلْمِيّة[1] .

وقد ألحق بنسخته فهارس للأعلام واللغة والقوافى .

وطبع مرة أخرى فى بولاق ١٢٩٦ بتصحيح الشيخ محمد قاسم ، ومرة ثالثة بتحقيق الأستاذ الجليل الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، وذلك فى سنة ١٣٥٧ .

(١) هذا هو المكتوب فى صدر النسخة المطبوعة ، أثبته كما هو .

وقد صنع له كذلك عدة فهارس نافعة .

١٦ — وأبو المحاسن مسعود على البيهقى المتوفى سنة ٥٤٤ .

١٧ — وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن منذر بن سعيد بن ملكون الحضرمى الإشبيلى المتوفى سنة ٥٨٤ .

١٨ — وأبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى ، شارح ديوان المتنبى ، المتوفى سنة ٦١٦ . وهو شرح مختصر اقتصر فيه على الإعراب .

١٩ — وأبو نصر منصور بن مسلم بن على الحلبى، والمعروف بابن الدميك ، لم يذكروا تاريخ وفاته . قال ياقوت : صنع تتمة لما قصّر فيه ابن جنى فى شرح الحماسة .

٢٠ — وأبو على حسن بن على الاسترابادى النحوى .

٢١ — وأبو نصر قاسم بن محمد النحوى .

* * *

٢٢ — هذا ما عَرَفه صاحب كشف الظنون من شروح الحماسة ، عرضْتُه بعد تحقيقه وتصحيحه والتعليق عليه .

على أن أول شارح للحماسة فيما نعلم ، هو أبو رياش أحمد بن إبراهيم الشيبانى المتوفى سنة ٣٣٩ . وهو شيخ أبى عبد الله النمرى(١) ، خلافا لما نص البغدادى(٢) أن أول شارح لها هو أبو عبد الله النمرى . وقد نقل البغدادى نصوصا من هذا الشرح فى مواضع يسيرة من الخزانة ، على حين أكثر التبريزى من النقل عنه فى شرحه للحماسة . ويفهم من تتبع نصوصه أن معظمها فى الأخبار والأسباب التى قيل من أجلها الشعر ، وهى زاوية مهمة حقا فى تفهم أسرار الحماسة .

٢٣ — وكما صنع أبو رياش تفسيرا للحماسة ، صنع تلميذه أبو عبد الله النمرى(٣)

---

(١) إنباه الرواة (١ : ٢٥) مع الحواشى . ونزهة الألباء ٤٠١ .

(٢) فى الخزانة (٣ : ٥٤١) .

(٣) نزهة الألباء ٤٠١ — ٤٠٣ .

كتابا فى « مشكلات الحماسة » . ومن هذا الكتاب نصوص فى مواضع متفرقة من الخزانة . والتبريزى فى شرحه يورد نصوصاً من هذا الكتاب ثم يعقبها برد أبى محمد الأعرابى عليها وتخطئته لها فى تهكم ، معتمداً على شيخه أبى الندى ، فى أكثر الأمر .

٢٤ — ومما تقدم يعلم أن أبا محمد الأعرابى قد صنع نقداً لشرح النمرى . ومن هذا الكتاب نسخة برقم ٨٠ أدب ش ، وأخرى برقم ١٤٨١ أدب بخط الشنقيطى ، والظاهر أنها منقولة من الأولى . واسم هذا النقد « إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله الحسين بن على النمرى البصرى مما فسره من أبيات الحماسة أولا وثانيا » جاء فى أوله : « قال أبو محمد الأعرابى : حضرت المجلس العادلى العالى — نوره الله — ذات ليلة ، فجرى ذكر أبى عبد الله النمرى رحمه الله ، فأثنى عليه بعض الحاضرين وذكر أنه كان شيخ البصرة فى زمانه فضلا ونبلا ، ودراية ورواية ، قد استخرج معانىَ الأبياتِ من أبيات الحماسة هو فيها السابق المبرز ، والجواد المُبِرّ ، فقلت : شا كِهْ أبا يسار ! تأملت ما فسره الشيخ من تلك الأبيات أولا وثانيا ، فوجدت فى خلال ذلك خللا كثيراً ، إما قصوراً وإما تقصيراً ، فقال لى :

* عنتا باطلا وظلما[1] *

إن كنت صادقا فيما تدعيه فجرّد لنقيضها كتاباً يدل على صحة دعواك ، وقد أمهلتك سنَة . فأمليت كتابى هذا بعون الله فى مدة أسبوع ، وبينت مواضع الزلل فيما فسره أبو عبد الله ، وأثبتّ الصواب تحت كل بيت ، وجعلت ذلك خدمة للمجلس العادلى العالى . وبالله التوفيق » .

٢٥ — وقد فات صاحب الكشف أيضاً أن يذكر شيخ المعرّة أبا العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّى المتوفى سنة ٤٤٩ . ومن هذا الشرح نصوص نقلها التبريزى فى شرحه .

(١) للحارث بن حلزة اليشكرى فى معلقته . وهو بتمامه :
عنتا باطلا وظلما كما تعـ ـتر عن حجرة الربيض الظباء

٢٦ — وأشار البغدادى إلى مصنّف لأبى على الشلوبين . قال[١] : « وذكر الشلوبين فيما كتب على الحماسة . . . » .

٢٧ — وإلى شرح لأبى الفضل الطبرسى ، وقد نقل البغدادى منه نحو ثلاثين نصا فى مواضع متفرقة[٢] .

٢٨ — وهناك شرح حديث منسوب إلى الأديب «محمد سعيد الرافعى». والحق أنه للمغفور له أستاذنا الشيخ إبراهيم الدلجونى . وقد طبع هذا الشرح عدة مرات .

٢٩ — وآخر صنعه المغفور له العلامة الشيخ سيد بن على المرصفى ، بعد تغيير ترتيبه . وقد طبع منه الجزء الأول سنة ١٣٣٠ .

٣٠ — وآخر صنعه بهاء الدين عبد القادر بن لقمان ، سماه « الرصافة القادرية » طبع بالهند سنة ١٢٩٩ وبآخره تفسير لبعض الكلمات اللغوية باللغة الإنجليزية . ومن هذا الشرح نسخة بالمكتبة الأزهرية .

* * *

وهناك ضرب آخر طريف من التفسير ، عمد فيه صاحبه إلى نثر أبيات الحماسة ، مجليًا بذلك معانيها الغامضة . وصاحب هذا التفسير ، هو أبو سعيد على ابن محمد الكاتب المتوفى سنة ٤١٤ . وقد صنع كتابه هذا لبهاء الدولة بن بويه ، وسماه « منثور البهائى[٣] » .

موازنة بين شرحى المرزوقى والتبريزى :

على أن الذى يعنينا من هذه الشروح شرحان ، هما شرحا المرزوقى والتبريزى والمرزوقى متقدم على التبريزى ، بين وفاتيهما نحو إحدى وثمانين سنة ،

(١) الخزانة (٤ : ٩٢) .
(٢) انظر إقليد الخزانة للراجكوتى ٥٥ .
(٣) كشف الظنون فى رسم (الحماسة) .

إذ كانت وفاة التبريزى فى سنة ٥٠٢ من الهجرة . ويعدّ المرزوقى من أقدم الشرّاح إذ كان بين وفاته فى سنة ٤٢١ ووفاة أبى تمام فى سنة ٢٣١ نحو مائة وتسعين سنة[١] .

وشرح المرزوقى يعدّ أكبر الشروح التى وصلت إلينا ، وأكثرها عناية بمعانى الشعر ، وبالنقد والموازنة ، على حين لم تفته العناية باللغة والاشتقاق ، وكذا العناية التى لا إسراف فيها بمسائل النحو والتصريف . لكنه قد فاته كثير من أخبار الشعر ومناسباته ، والكلام على أسماء الشعراء واشتقاق أعلامهم وهما الميزتان اللتان امتاز بهما التبريزى عليه . والتبريزى فى هذه الناحية الأولى قد أفاد من شرح أبى رياش للحماسة — ويبدو أن كتاب أبى رياش لم يقع للمرزوقى حتى يمكنه الانتفاع به كما صنع التبريزى — وفى الناحية الأخرى قد أفاد من شرح أبى هلال العسكرى ، ومن المبهج لابن جنى .

والمرزوقى ذو عبارة رصينة متخيَّرة ، يتكلف لها الصنعة حيناً ، ويعمد آخر إلى السجع الهيّن . ومن عجب أن التبريزى ينقل عبارته هذه ذاتَ الطابع الخاص ، ولا يجهد قلمه فى نسبة العبارة إليه إلا فى القليل النادر[٢] . بل إنه فى مقدمة كتابة لم يشر إلى إفادته منه ، مع أن للموازِنَ بين الشرحين يدهشه التقاربُ الشديد بين عبارات التفسير واتجاهاته ، ثم لا يرتاب فى أن التبريزى كان فى جُمهور شرحِه عالةً على المرزوقى .

ومن عجب أيضاً أن التبريزى مع ذلك ينعى على هؤلاء الذين يهملون نسبة أقوال العلم إلى أصحابها فيقول فى تفسير الشطر الثالث من الحماسية ٨٩[٣] : « قال

(١) ولم يتأخر تأليف المرزوقى لشرح الحماسة عن سنة ٤١٧ . قال ياقوت : « وجدت خطه على كتاب شرح الحماسة من تصنيفه وقد قرئ عليه فى شعبان سنة ٤١٧ » .

(٢) من ذلك النادر ما ورد عند التبريزى فى شرح البيت الأول من الحماسية ٦٩ والثانى من الحماسية ٨٧ والشطر الثالث من الحماسية ٨٨ .

(٣) هى الحماسية ٨٨ عند المرزوقى ، إذ أن هناك خلافا فى ترتيب المقطوعات كما سيأتى .

المرزوقى : وذكر بعض المتأخرين — يعنى ابن جنى — ولم ينصفه حيث لم يسمِّه فى كتابه . . .[1] » .

وفى أسلوب المرزوقى أيضاً استطالة عجيبة ، يفصل بين المبتدأ وخبره أو بين الفعل ومفعوله بعبارة طويلة يضل القارئ فى ثناياها حتى يهتدى إلى ارتباط الكلام[2] .

ويمتاز شرح المرزوقى بمقدمته النفيسة الجريئة التى تعدّ وثيقة هامة فى تاريخ النقد الأدبى : نقد الشعر ونقد النثر ، ضمنها مسائل شتى تتعلق بموازنة النظم والنثر أيهما أشرف وأعلى قدراً ، ويتبع ذلك الكلامُ على المقايسة بين منزلة الشاعر والكاتب ، والعلة فى كثرة الشعراء وقلة النثَّار ، ولماذا لا يستطيع الأديب أن يجمع الإجادة فى صناعتى النظم والنثر ؟ وما أثر الصنعة والطبع فى الآثار الأدبية فى قيمتها وفى جمالها ؟ ومتى تُستحسن الصنعة ؟ وما مدى العلاقة بين ذوق الأديب فيما يصنع بيانه من إنتاج أدبى وفيما يختار من بيان غيره ؟ وهذه المسألة مبنية على ما صنع أبو تمام فى اختيار الحماسة ، إذ كان ذوقه فى ذلك الاختيار مخالفاً لذوقه فى نسج شعره وصناعتِه مخالفةً ظاهرة . وقد أجاد المرزوقى فى جواب هذه المسألة بما يعدّ مثالا فى البيان ، وغاية فى إصابة الحكم .

وكلمة أخرى فى هذين الشرحين : أن متن الحماسة فيهما يخالف بعضه بعضا فى الرواية وعدد الأبيات ، وفى ترتيب المقطوعات وترتيب الأبيات ، بله عدد المقطوعات . وقد لحظت أن المرزوقى لم يرو الحماسة التى أولها :

---

(١) مما هو جدير بالذكر أن المرزوقى لا يصرح باسم ابن جنى ، وكأنه كان يستضعفه ولا يرى مكانه ، وتكاد تكون عبارة « قال بعضهم » فى شرح المرزوقى يقصد بها ابن جنى فحسب . وليس يذكر هذه العبارة إلا فى مقام الاعتراض فى أغلب الأمر .

(٢) انظر نموذجا لذلك ما ورد فى الصفحة الأولى من مقدمته ، إذ فصل بين « جارتينى » وبين « أمر الشعر » بثلاثة أسطر .

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعى

وترتيبها عند التبريزى ١٤ ، ونتج من ذلك أن نجد أن المقطوعات التى تلى المقطوعة ١٣ يزيد رقمها واحدا عند التبريزى ، على حين نجدها برقم أدنى عند المرزوقى ، أى إن الحماسة رقم ١٥ عند التبريزى يقابلها رقم ١٤ عند المرزوقى ، والحماسية ١٦ عند التبريزى يقابلها ١٥ ، عند المرزوقى ، وهلم جرا .

كما نجد أن الحماسيتَين ١٠٤ ، ١٠٥ فى ترتيب المرزوقى وهما ١٠٥ ، ١٠٦ عند التبريزى — قد تقدمت أولاها على الأخرى عند المرزوقى وتأخرت عند التبريزى .

وهذه المفارقات راجعة إلى الخلاف فى نسخ الحماسة ورواياتها ، وقد وجدت المرزوقى يقول فى شرحه[1] : « وقد رجعنا إلى نسخ مختلفات المصادر ... » ، يعنى بذلك نسخ الحماسة ، وهو نص صريح فى بيان تعدد نسخ الحماسة .

المرزوقى :

قال الصاحب ابن عباد[2] : « فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة : حائك ، وحلاج ، وإسكاف . فالحائك هو المرزوقى ، والحلاج أبو منصور بن ماشده ، والإسكاف أبو عبد الله الخطيب بالرى ، صاحب التصانيف فى اللغة » .

وليس يعنى الصاحبُ أنَّ أصبهان لم يبرز منها إلا هؤلاء العباقرة ، ولكنه عنى أنهم نبغوا من بين أصحاب الصناعات ، وإلا فإن عباقرة أصبهان كثيرون ، وقد ظهر فيها فحول كِثار ، منهم قبل المرزوقى أبو الفرج الأصبهانى صاحب الأغانى المتوفى سنة ٣٥٦ وغيره كثير .

وليس يعرف زمان مولد (أبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى) ،

---

(١) ص ٢٥٥ من هذا الجزء .

(٢) معجم الأدباء (٥ : ٣٥) .

ولكن وفاته قد أجمع المترجمون له أنها كانت سنة ٢٤١ لم يشذ منهم أحد . ولكنا نجد نصا غريبا فى نهاية كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقى[(١)] ، وهو : «فرغت منه ضحوة يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ٤٥٣» . والخطب فى هذا هين ، إذ يبدو أن هذه عبارة الناسخ لا عبارة المرزوقى . يؤيد هذا إجماع المؤرخين قاطبة على سنة وفاته وعدم اختلافهم فى ذلك . ويؤيده أيضا ما ورد فى نص ياقوت : « وكان — أى المرزوقى — معلم أولاد بنى بويه بأصبهان ، ودخل إليه الصاحب فما قام له ، فلما أفضت الوزارة إلى الصاحب جفا » . فإذا عرفنا أن ولاية الصاحب للوزارة دامت ثمانى عشرة سنة وأن وفاته كانت فى سنة ٣٨٥ وأنتجنا من ذلك أنه تولى الوزارة نحو سنة ٣٦٧ — إذا عرفنا ذلك كان القول بأن المرزوقى دامت حياته ٨٦ سنة بعد جفاء الصاحب له ، غايةً فى البعد والاستحالة ، ولاسيما إذا وجدنا المؤرخين لم يذكروا المرزوقى بأنه كان من المعمرين[(٢)] .

شيوخه وتلاميذه :

والمؤرخون لا يعرفون للمرزوقى شيخاً إلا أبا علىّ الفارسىّ المتوفى سنة ٣٧٧ . يذكرون أنه قرأ عليهم كتاب سيبويه ، وتتلمذ له بعد أن كان رأسا بنفسه[(٣)] . والمرزوقى يذكر سماعه منه فى مواضع من شرحه[(٤)] .

وأما تلاميذه فلم يذكروا منهم إلا سعيداً البقال : قال ياقوت : « وكتب عنه سعيد البقال ، وأخرجه فى معجمه .

ويذكرون أيضاً أنه اتصل ببنى بويه وكان معلم أولادهم .

---

(١) الأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٨٤) .

(٢) وقد عثرت أخيراً على نص فى شرح الحماسية ١٦٤ يفهم منه أن المرزوقى صنع كتاب الأزمنة قبل شرح الحماسة ، أى قبل سنة ٤١٧ . انظر الحاشية الأولى من صفحة ١٦ من التقديم .

(٣) معجم الأدباء (٥ : ٣٥) . (٤) انظر الحماسية ١٢٣ : ٢ ، ١٣٥ : ٣ .

والمرزوقى يعد فى زمرة البصريين ، وهو فى مواضع من شرحه[1] يقول : « أصحابنا البصريون » .

مؤلفات المرزوقى :

١ — شرح الحماسة ، قال ياقوت : « أجاد فيه جدا » . وقال القفطى : « وهو الغاية فى بابه » . وقال ابن شاكر[2] : « وهو أحسن شروحها » .

٢ — شرح المفضليات . ومنه نسخة فى مكتبة برلين برقم ٧٤٤٦ .

٣ — شرح الفصيح . قال القفطى : « وهو كتاب جميل فى نوعه »

٤ — شرح أشعار هذيل .

٥ — كتاب الأزمنة والأمكنة . وقد طبع فى مجلدين فى حيدر أباد سنة ١٣٣٢ .

٦ — الأمالى . ومنه قطعة بدار الكتب المصرية برقم ٣٣٠٠ أدب . تكلم فيها على شرح طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث ، والأمثال ، والحكم ، مع ذكر ما يناسبها من العلوم المختلفة .

٧ — ألفاظ العموم والشمول . منه قطعة بدار الكتب المصرية برقم ٤١٤٠ أدب .

٨ — شرح الموجز ، فى النحو ، كما ذكر ابن شاكر .

٩ — شرح النحو (؟ !) . ذكره ياقوت . والظاهر أنه الكتاب السابق .

١٠ — وذكر له القفطى كتاباً بعنوان « مفردات متعددة فى النحو » .

شرح المرزوقى للحماسة :

سمى المرزوقى كتابه هذا « شرح الاختيار المنسوب إلى أبى تمام الطائى

(١) انظر الحماسة ١٣ : ١ والحماسية ٥٠ : ٤ .

(٢) فى عيون التواريخ نسخة دار الكتب فى وفيات ٤٢١ .

المعروف بكتاب الحماسة » . وقد أثبت هذه التسمية فى صدر مقدمته .

وفى مكتبات العالم من هذا الكتاب نسخ كثيرة منها فى تركيا وحدها عشر نسخ ، وفى القاهرة نسختان : إحداهما فى دار الكتب المصرية ، والأخرى فى التيمورية الملحقة بدار الكتب . وفى كل من برلين ، وليدن ، والمتحف البريطانى ، والموصل ، وطهران نسخة واحدة . فهى سبع عشرة نسخة ، وإليك أرقامها :

١ — نسخة كوبريلى برقم ١٣٠٨ — ١٣١١
٢ — « نور عثمانية برقم ٣٩٩٩ — ٤٠٠١
٣ — « أيا صوفيا برقم ٤٠٥٨
٤ — « لا له لى برقم ١٨١٠ — ١٨١٣
٥ — « الفاتح برقم ٣٩٤١ — ٣٩٤٤
٦ — « بايزيد برقم ٢٦٠٤
٧ — « عاطف برقم ٢١٤٦
٨ — « المكتبة العمومية برقم ٥٣٩٢ ، ٥٣٩٣ ، ٥٥٤٧
٩ — « فيض الله برقم ١٦٤٤
١٠ — « برلين برقم ٧٤٤٩
١١ — « ليدن برقم ٦٠٣
١٢ — « المتحف البريطانى برقم ٥٦٨ — ٥٦٩
١٣ — « الموصل (مخطوطات الموصل ١٩٠)
١٤ — « طهران (الجزء الثانى ٢٨٨)
١٥ — « دار الكتب المصرية برقم ٣٠٦ أدب
١٦ — « مكتبة تيمور باشا برقم ١٠٢٧ شعر . وهذه النسخة لم يعرفها بروكلمان .

١٧ — نسخة روان كشك الملحقة بمكتبة طوب قبو سراى ، ورقمها ٧٠٦ وهذه النسة لم يعرفها بروكلمان أيضاً .

النسخ المعتمدة فى التحقيق :

اعتمدنا فى تحقيق هذه النسخة على أربع نسخ هى التى أمكننا أن نحصل عليها ، واسترجحنا من هذه النسخ الأربع نسختين اعتمدنا عليهما اعتمادا تاما .

١ — النسخة الأولى ، وهى التى سميناها نسخة الأصل ، وهى نسخة المكتبة العمومية بالآستانة ، وهى كاملة فى مجلدين يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٥٢٥ أى بعد وفاة المرزوقى بأربع سنين ومائة سنة ، كتبها سعد بن إبراهيم ابن أحمد الفرائى ، قياسها ١٨,٥ × ٢٩,٥ وينتهى الجزء الأول منها بالحماسية رقم ٣٥٠ .

٢ — نسخة دار الكتب المصرية ، وهى قديمة أرجح أنها من مخطوطات القرن السادس ، بها ترقيع وتقطّع وتلوث وآثار أرضة ، وهى نسخة ناقصة بها تكميل فى أولها ، وتنتهى بنهاية المقطوعة الحماسية رقم ٣٠٠ أى إنها أقل من نصف الكتاب ، وهذه النسخة مجهولة التاريخ والناسخ ، وقد رمزت إلى هذه النسخة بالرمز (م) .

أما النسختان الأخريان فهما :

٣ — نسخة المكتبة التيمورية ، وهى نسخة ناقصة حديثة الخط مجهولة الناسخ وتاريخ النسخ ، وهى فى حجم متوسط تنتهى بنهاية الحماسية رقم ٣٢٣ .

٤ — نسخة روان كشك الملحقة بمكتبة طوب قبو سراى برقم ٧٠٦، وهى من مجلوبات معهد المخطوطات بالإدارة الثقافية لجامعة الدول العربيــة ، وهى نسخة خزائنية مكتوبة بخط نسخى دقيق جميل ، مع خلوها من الضبط ، كتبها

شمس الدين القدسي برسم السلطان مراد خان سنة ٨٦٩ بأولها طرة مذهبة ، كما أن صفحاتها مجدولة بالذهب ، وقياسها ٢٢ × ٣٥ .

تحقيق الكتاب :

فى هذا الجزء الأول عارضت نسختى المكتبة العمومية ودار الكتب المصرية معارضة تامة فى النص وفى الضبط ، وقد ظهر لى أن خلافهما قليل جدا ، وستستمر المعارضة التامة بينهما إلى أن تنتهى نسخة دار الكتب . هذا مع الاستعانة بما نقدر عليه من المخطوطات ما وجدنا إلى ذلك سبيلا ، وحينئذ تحل نسخة روان كشك محل نسخة دار الكتب المصرية فى المقابلة التامة .

وقد استدعى تحقيق هذا الكتاب أن أقارنه مقارنة تامة بشرح التبريزى بحيث لا أترك فائدة جديرة بالإثبات فيما أرى إلا اقتبستها فى الحواشى . ولا سيما ما كان متعلقا برواية المتن ، أو تحقيق الأخبار وتوضيحها ، أو ما كان فيه تأييد المرزوقى أو طعن عليه .

وكذلك اصطحبت فى تحقيقه شرح مشكل أبيات الحماسة لابن جنى ، وكان فى النية أن أقتبس جميع نصوص هذا الكتاب وأضعها فى أماكنها إزاء أبيات الحماسة ، لكنّى وجدت فى ذلك إثقالا ، ووجدت الفائدة التى يجنيها القارئ من إسهاب ابن جنى فى هذا الكتاب خاصة فائدة غير موجوّة . لذلك لم أثبت منها إلا ما كان ضروريا لتوضيح أو تأييد .

كذلك كان الصُّنع فى كتاب المبهج لابن جنى أيضاً .

وقد التزمت أن أترجم لجميع شعراء الحماسة ترجمة موجزة ، وأن أشير إلى مراجع الترجمة . وقد أفدت من جهدى فى تراجم شعراء الحيوان للجاحظ ، والبيان والتبيين له ، شيئاً كثيراً ، كما أفدت من جهد الأخ العلاّمة الشيخ أحمد محمد شاكر فى كتاب « الشعر والشعراء لابن قتيبة » ما يجعلنى أعترف له هنا بالفضل العظيم .

كما عنيت عناية خاصة بتعيين أسماء المجهولين من شعراء الحماسة الذين يعبّر عنهم أبو تمام بقوله : « وقال آخر » أو بعض شعراء قبيلةٍ ما من قبائل العرب ، وقد وفّقت فى ذلك بعون الله بعض التوفيق .

وكذلك كان الأمر فى تعيين أسماء المجهولين فى شرح المرزوقى .

واستعنت بعد ذلك بمختلف المراجع الأدبية واللغوية والتاريخية والبلدانية وكتب القراءات والتفسير وغيرها لتحقيق هذا الكتاب وضبط نصوصه . وبيانُ تلك المراجع سوف ألحقه بالفهارس العامة للكتاب إن شاء الله .

الفهارس العامة والاستدراكات :

وسيلحق بنهاية هذا الكتاب إن شاء الله — أى فى نهاية المجلد الرابع — ما تقتضيه طبيعته من الفهارس الفنية للشعر ، واللغة ، والأمثال ، والأعلام ، والبلدان ، ويتلوها الاستدراكات والتصحيحات .

* * *

وبعد ، فإن صاحب الفضل الأكبر فى إخراج هذه النشرة الأولى من هذا الكتاب الجليل ، هو أستاذنا الكبير « الدكتور أحمد أمين بك » ، فهو الذى اقترح أن ينشر هذا الكتاب ، لما له ولمؤلفه من خطر ، كما أقرّ إخراجه فى لجنة التأليف والترجمة والنشر ، التى كانت لمصر والعالم العربى بمثابة جامعة علمية عاملة ، بما أظهرت للمثقفين من آثار التأليف فى الشرق والغرب . وقد اشترك حفظه الله فى وضع منهج الإخراج ليبدو الكتاب فى هذا الوضع العلمى الحديث ، كما تفضل بمراجعة ما صنعت لتحقيق هذا الكتاب مراجعة دقيقة ، فله من الله ومن العلم خير الجزاء .

القاهرة فى { ٢٠ من المحرم سنة ١٣٧١
٢١ من أكتوبر سنة ١ [illegible] ١ }

عبد السلام محمد هارون